المـــدحة اللامـــية:

أما مدحته اللامية في رسول الله ﷺ فتقع في الديوان في تسعة وسبعين بيتًا وقطع النسيب منها نحو خمسه وعشرين بيتًا قائلًا فيها:(٣).

ما الطَرف بعدكم بالنوم مكحولِ	هذا وكم بيـــننا من ربعكم ميل
ياباعثين سهادًا لى وفيـض بُكا	مهما بعثتم على العينين محمول
هبكم منعم جفونى من خـــيالكم	فكيف يمـــنع تذكـــار وتـخيل
في ذمة الله قلب يـــــوم بينكم	موزع ودم فى الحـــب مطلول
شُغلتمُ بصباح الأنس مبتسـمًا	وناظري بظـــلام الليل مشغول
كأنما الأفق محراب عكفت به	والنـــيّرات بأفقـــيه قنـــاديل

يستهل ابن نباتة هذه المدحة بالنسب معارضًا فى ذلك قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" شاكيًا ف
النوم وبعد المسافة بينه وبين محبوبتـه فصارت عيونـه مكحولـة من شدة التعب وما يصيبه من
والسهر،ويصرح ابن نباتة فى هذه المدحه بأنه تجاوز الأربعين من عمره وقد اشتعل رأسه شيبًا

سقيًا لعهد الصـــبا والدار دانية	والشمل مجتـــمع والجمع مشمول
يفدى الزمان الذى فى عامه قصر	هذا الزمـــان الذى فى يومه طول
لم لا أشيب بالعيش الذى سلـــفت	أوقـــاته وهو باللذات موصـــول
لو كنت أرتاع من عذل لروّعني	سيف المشيب برأسي وهو مسلول

كتب التفسير :

من كتب التفسير (تفسير القرآن) لأبي الفدا إسماعيل ت ٧٧٤ هـ[١]،(تفسير القرآن) لشهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي ت ٧٥٦ هـ، (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤ هـ[٢]،(الدر المنثور في التفسير المأثور)، و(ترجمان القرآن)،(الأتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي،(تفسير القرآن) للعلامة جمال الدين أبي عبدالله محمد العلامة الكبير[٣]،و من العلماء الذين برعوا في شتى الموضوعات منها:التفسير ،الحديث،الفقه،النحو،البيان، البديع أي كان جامعًا لكثير من العلوم العلامة "عبد الرحمن بن الكامل أبي بكر بن محمد بن سابق الدين...الخضيري الأسيوطي"[٤]،يقول السيوطي:"ورُزقت التبحر في سبعة علوم:التفسير ،الحديث،الفقه،النحو ،المعاني،البيان والبديع،على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة"[٥]،وتبدو أهمية كتب الأسيوطي الكثيرة في تناولها شتى الموضوعات.

المعـــاجم :

من أشهر المعاجم فى العصر المملوكي على سبيل المثال (لسان العرب) لابن منظور الإفريقي ت ٧١١ هـ[٦]،(البحر المحيط في شرح الوسيط) لبدر الدين أبي العباس أحمد ت ٧٢٧ هـ[٧]،(المحيط) لفيروز أبادى ت سنة (٨١٧ هـ)[٨]،(المصباح المنير) لأحمد على المقريزي[٩] (الصحاح) للجوهرى،(المحكم) لابن سيدة وكذلك (المخصص)[١٠].

كتب البلاغة :

من كتب البلاغة كتاب (العروضي) لابن مالك ت سنة ت٦٧٢هـ، (شفاء العليل في علم الخليل) لأمين الدين المحلي ت ٦٧٣هـ، أساس البلاغة للزمخشرى[١١]،جنان الجناس لصلاح الدين الصفدى ت سنة (٧٦٤هـ)،(شرح تلخيص المعاني والبيان) لأكمل الدين محمد بن محمد بن محمود ت ٧٨٦هـ ، (خزانة الأدب وغاية الأرب) لتقي الدين بن حجة الحموي ت ٨٣٧هـ ، كتاب (القوافي) لبدر الدين الدماميني ت ٨٢٧هـ... وغيره[١٢].

---

[١] - محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ص١٤٢.
[٢] - المرجع السابق، ص١٤٢.
[٣] - المرجع نفسه، ص (٢/ ١٤٠-١٤١).
[٤] - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٧، ص (١/ ٣٣٥).
[٥] - المرجع السابق، ص (١/ ٣٣٨).
[٦] - محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ص١٥٧.
[٧] - المرجع السابق،ص١٣٣.
[٨] - محمد عبد المنعم خفاجي،قصة الأدب في مصر ، (ص٩٠).
[٩] - محمود رزق سلم عصر سلاطين المماليك(ص١٥٧- ١٥٨)
[١٠] - محمد زكريا عناني ، تحقيق النصوص،ص ١٥٧.
[١١] - محمود رزق سلم ، عصر سلاطين المماليك ،(٢/ ١٥٧- ١٥٨).
[١٢] - المرجع السابق،ص(٢/ ١٥٨).

المؤلفات فى العصر المملوكى :

ألف العلماء في شتى المجالات فى التاريخ والتراجم والمعاجم والبلاغة والتفسير وغيره ، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر.

الكـتب التاريخـية :

ومن الكتب التاريخية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقريزى ويُعد من مصادر التاريخ المصري المهمة"[٧]،و(الضوء اللامع) للسخاوي،وكذلك (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لابن إياس في تاريخ مصر[٨].

كـتب التراجـم :

ومن كتب التراجم (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة)لابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢،(وفيات الأعيان) لشمس الدين ابن خلكان ت٦٨١هـ [٩]،و(الوافي بالوفيات) لصلاح الدين الصفدي ، و(البدر السافر وتحفة المسافر)،(الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد) لكمال الدين جعفر بن ثعالب الإدفو. ت ٧٤٨ هـ[١٠].

التمهـيـد:

عصرابن نباتة وبيئته:

إن عصر شاعرنا جمال الدين بن نباتة المصري والأحداث التى أحاطت به سوف تنقلنا إلى ذلك العصر الذى اجتمعت فيه المتناقضات ما بين صعود واضمحلال وقوة وضعف وتألف فى جوانب من الأدب والفكر إلى جوانب تقليد وتكلف إلى أبعد ما يكون اللعب بالألفاظ مع ضمور المعاني والأفكار هذا هو العصر الذى رأى فيه بعض المؤرخين حالة فريدة من التصدي لما جرى على الدولة العباسية مما أدى إلى اجتياح التتار لبغداد وكيف نهض فصانوا الكيان الإسلامي من الضياع ، بينما اعتبر آخرون أن عصرهم جاء ليفتح الباب على مصراعيه للانحدار وليهيىء الأجواء للاجتياح العثمانى الذى جعل من مصر مجرد ولاية لا قيمة لها فمن أين نبدأ مع ابن نباتة المصري؟

أولاً : الحالة السياسية :

على أيدى المماليك احتلت مصر مركز الصدارة بين دول العالم الإسلامي خاصة بعد أن استطاعوا تصفية الوجود الصليبي فى بلاد المسلمين يقول د.محمد زغلول سلام:"من أهم مجالات نشاط المماليك العسكرى تصفية الصليبيين في الشام والشرق العربي عامة"[1]، كما أنهم استطاعوا أن يصدوا الخطر المغولى وأن يحموا الحضارة الإسلامية من التدمير يقول د. محمد زغلول:"سد الطريق أمام الطوفان المغولى وتحطيم موجات التتار موجة إثر الأخرى وإنقاذ الشرق العربى والإسلامى من هذا الزحف المدمر والخطر الرهيب الآتى من الشرق عن دجلة والفرات"[2].

يذكر المقريزي في السلوك:"عندما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب أحضرت زوجه شجر الدر الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، والطواشي جمال الدين وأعلمتهما بموت السلطان وأوصتهما بكتمان موته خوفًا من الفرنج[3]، وهذا الموقف يُحتسب لشجر الدر في الحفاظ على المُلك من الفرنجة وحفظ حق توران شاه في السلطنة حتى عاد،وقد أبلى توران شاه بلاءً حسنًا في محاربة الفرنج وانتصر عليهم وقبض على لويس التاسع وحُبس في دار ابن لقمان بالمنصورة سنة (٦٤٧ هـ) ووكل أمره إلى الطواشي جمال الدين صبيح المُعظم،يحفظه مكرمًا غاية الإكرام[4] ثم نفرت قلوب الجيش من توران شاه "فقتلوه في١٧ محرم ٦٤٨ هـ "[5].

---

[1] - د. محمد زغلول سلام،الأدب فى العصر المملوكى ، دار المعارف للنشر - مصر ،ط ١سنة١٩٧١ (ص٢٨).

[2] - المرجع السابق (ص٢٨).

[3] - أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ط١، دار الكتب العلمية،سنة ١٩٩٧م، ص (٣٤٢/١-٣٤٣).

[4] - المرجع السابق ،ص (٣٤٣/١) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن ،ط وزارة الثقافة - مصر ،سنة ١٩٦٣ م،ص(٣٤٦/٦).

[5] - محمد خفاجي، قصة الأدب فى مصر،ط١ دار الطباعة المحمدية القاهرة،سنة ١٩٥٦ سنة ، ص(٤/٢).

مدحته الميميه:

والجدير بالذكر أن ابن نباتة المصرى استهل قصائده التي مدح فيها الرسول ﷺ بالنسيب والغزل ماعدا قصيدته الميمية هذه فقد بدأها بالمديح وهى أقصر مدائحه ولم تتجاوز الخمس وعشرين بيتاً ،(وقال يمدح رسول الله ﷺ):[٣].

أوجـــــز مديحك فالمقام عظيم ... من دونـــه المنثور والمنظوم
من كان فى سور الكتاب مديحه ... ماذا تســـاور فكـــرة وتروم
جبريل راوى نصته الأحلى وفي ... ورق الجنان كتـابه مرقـــوم
قل يا محمد تفصح الأكـــوان عن ... حمدٍ كـــان مزاجـــه تسنيم
بدر تألق فالطـــــريق محجـة ... لذوى الهداية والصراط قويم

---

[١] - جمال الدين بن نباتة ،ديوان ابن نباتة،ص٣٧٥.
[٢] - المرجع السابق،ص٣٧٥.
[٣] - المرجع نفسه،ص٤٢٨.